

سورة التحريم ﴿الآيتين: 3 - 4﴾

أهداف الدرس

- 1- أن أتعرف إعلام الله نبيه ﷺ بفشو سره ومن أفشاه.
- 2- أن أطلع على تأنيب النبي ﷺ لبعض أزواجه وعتابه لها.
- 3- أن أقوي إيماني بصدق كتاب الله وصدق نبيه محمد ﷺ.

تمهيد

سبقت الإشارة إلى أن سبب نزول الآيتين السابقتين هو ما دار بين النبي ﷺ وبعض أزواجه من حديث، ترتب عنه أنه أخبر حفصة رضي الله عنها ببعض سره واستكتمها ذلك إرضاء لها وتطيباً لخاطرهما، وهو ما أفشته حفصة بين أزواجه، فأطلعه الله على ذلك، فعاتبها في هذه الآيات على إفشاء ذلك السر.

فكيف عاتب النبي ﷺ حفصة على إفشاء سره؟ وما التوجيهات والمواعظ التي قدمتها الآيات لأزواجه ﷺ؟

الآيات

قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَسْرَأْتِ بَعْضَ أَرْوَاحِهِ، حَدِيثًا قَلَمَّا تَبَيَّنَتْ بِهِ، وَأَخْصَرَكَ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ، وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضِ قَلَمَّا تَبَيَّنَ أَهَابُهُ، قَالَتْ مَرَّانِي قَلَمًا قَالَ تَبَيَّنَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿3﴾ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَكْفُرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ هِيَ الْخَصِيمُ ﴿4﴾﴾ [سورة التحريم: 3-4]

● الفهم

الشرح:

بَعْضِ أَزْوَاجِهِ: حفصة.

نَبَأْتُ: أخبرت.

وَأَخْصَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ: أطلعه على النبأ به وعلى إفشائه.

صَغَتْ: مالت.

وَإِنْ تَخْصَّاهَا: تتعاوننا، أصله تتظاهرا فقلبت التاء ظاء وادغمت.

مَوْلِيَّةٌ: وليه وناصره.

لِخَصِيمٍ: أعوان له وأنصار.

استخلاص مضامين الآيات:

1- فيم عاتب النبي ﷺ حفصة رضي الله عنها؟

2- من وعظ النبي ﷺ في الآيات.

● التفسير

اشتملت هاتان الآيتان على ما يأتي:

أولاً: السر الذي أفشته حفصة رضي الله عنها وعتابها على ذلك

بعد ما حكى القرآن الكريم ما حصل للنبي ﷺ مع أزواجه، جاءت هذه الآيات تخبر بأن الله سبحانه أطلعه على إفشاء حفصة للسر الذي ائتمنها عليه بإخبارها عائشة رضي الله عنها بذلك، فقال: ﴿وَإِذَا أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً﴾ ﴿اختلف في المراد بالحديث في الآية على قولين:

الأول: أنه قال: إن أبا بكر وعمر يليان الأمر من بعده.

والثاني: أنه قوله: شربت عسلا. وقيل غير ذلك.

والمراد بقوله: ﴿بَغَضِي أَرْوَاجِي﴾ حفصة رضي الله عنها.

ثم قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ بِهِ الْأَخْصَرُ أَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ، وَأَعْرَضَ عَنِ بَعْضٍ﴾ كانت حفصة قد أخبرت عائشة بما أسر إليها رسول الله ﷺ، فأخبر الله رسوله ﷺ بذلك، فعاقب حفصة على إفشائها لسره فطلقها، ثم أمره الله بمراجعتها فراجعها. وقيل: لم يطلقها.

قال الخازن في تفسيره: «فغضب من إفشاء سره وجازاها عليه بأن طلقها، فلما بلغ عمر قال لها: لو كان في آل الخطاب خير لما طلقك رسول الله ﷺ، فجاءه جبريل عليه السلام، وأمره بمراجعتها. وقيل: لم يطلق رسول الله ﷺ حفصة، وإنما هم بطلاقها، فأتاه جبريل فقال: لا تطلقها فإنها صوامة قوامه، وإنها من نسائك في الجنة» [تفسير الخازن: 313/4].

فقوله: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ بِهِ﴾ حذف المفعول وهو عائشة.

وقوله: ﴿وَالْأَخْصَرُ أَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ أي: أطلعه على إخبارها به.

وقوله: ﴿عَرَفَ بَعْضَهُ، وَأَعْرَضَ عَنِ بَعْضٍ﴾ أي: عاتب حفصة على بعضه وأعرض عن بعض حياء وتكريما، فإن من عادة الفضلاء التغافل عن الزلات والتقصير في العتاب، وقرأ الكسائي عَرَفَ بالتخفيف من المعرفة.

﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهَا بِهِ، قَالَتْ مَرَّانِبَاءُ لَهَا﴾ أي: لما أخبر النبي ﷺ حفصة بأنها قد أفشت سره، ظنت بأن عائشة هي التي أخبرته فقالت له: من أنباك هذا؟ فلما أخبرها أن الله هو الذي أنبأه سكنت وسلمت.

ثانياً: وعظ وتنبيه لحفصة وعائشة رضي الله عنهما

بعد عرض قصة تحريم العسل وإفشاء سر النبي ﷺ بين حفصة وعائشة رضي الله عنهما، وإخبارهما بأن الله سبحانه أطلعه على ذلك، انتقلت الآيات لوعظهما وإرشادهما إلى السلوك السديد فقال تعالى: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ هذا خطاب لعائشة وحفصة، وتوبتهما هي مما جرى منهما في قصة تحريم العسل.

ومعنى ﴿صَغَتْ﴾ أي: مالت عن الصواب، وقرأ ابن مسعود: «زاغت»، والمعنى: إن تتوبا إلى الله فقد صدر منكما ما يوجب التوبة.

ثم ذكر سبحانه أن الله عز وجل عاصم نبيه وناصره، فلا يضره أذى من أي مخلوق فقال: ﴿وَإِنْ تَصَافَرْتُمَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَايُكُمَا﴾ المعنى إن تعاونتما عليه ﷺ بما يسوءه من إفراط الغيرة، وإفشاء سره ونحو ذلك فإن له من ينصره، وهو الله عز وجل.

و﴿مَوْلَايُكُمَا﴾ هنا يحتمل أن يكون بمعنى السيد الأعظم، فيوقف على مولاه ويكون ﴿جَبْرِيلُ﴾ مبتدأ، و﴿خَصِيمُ﴾ خبره وخبر ما عطف عليه، ويحتمل أن يكون المولى هنا بمعنى الولي الناصر، فيكون ﴿جَبْرِيلُ﴾ معطوفاً، فيوصل مع ما قبله ويوقف على ﴿صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ويكون ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ مبتدأ و﴿خَصِيمُ﴾ خبره، وهذا أظهر وأرجح لوجهين:

أحدهما: أن معنى الناصر أليق بهذا الموضع، فإن ذلك كرامة للنبي ﷺ وتشريف له، وأما إذا كان بمعنى السيد فذلك يشترك فيه النبي ﷺ مع غيره، لأن الله تعالى مولى جميع خلقه بهذا المعنى، فليس في ذلك إظهار مزية له.

الوجه الثاني: أنه ورد في الحديث الصحيح أنه لما وقع ذلك جاء عمر إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ما يشق عليك من شأن النساء، فإن كنت طلقتهن فإن الله معك

وملائكته وجبريل معك وأبو بكر معك وأنا معك ، فنزلت الآية موافقة لقول عمر ، فقوله يقتضي معك النصره .

وقد اختلف في صالح في قوله تعالى: ﴿صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ هل هو مفرد أو جمع محذوف النون للإضافة؟

فعلى القول بأنه مفرد هو أبو بكر ، وقيل: علي بن أبي طالب ، وعلى القول بأنه جمع فهو على العموم في كل صالح .

يستفاد من هاتين الآيتين ما يأتي:

- أنه يجب على من استُكتم سراً أن يكتمه ، لأن المسلمين عند شروطهم .
- أنه يحسن التلطف في العتاب بين الأزواج حفاظاً على كيان الأسرة ، اقتداءً بسيرة المصطفى ﷺ .
- أن القرآن الكريم كلام الله حقاً وصدقاً ، لأنه يتحدث عن أسرار الرسول ﷺ التي لم يكن يرغب في إفشائها .
- كرامة النبي ﷺ على ربه؛ إذ هو وليه وناصره ومعينه ، وعظم قدره عنده وعند ملائكته والمؤمنين .

● التقويم

- 1- ما الحديث الذي أسر به النبي ﷺ لبعض أزواجه؟
- 2- لماذا أفشت حفصة رضي الله عنها سر رسول الله ﷺ؟
- 3- ما هي المواعظ التي وجهتها آيات لحفصة وعائشة؟
- 4- كيف يكون لهذه القيم النبوية أثر في حياتي؟

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: «لَمْ أَزَلْ حَرِيصًا عَلَى أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ عَنِ الْمَرَأَتَيْنِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ اللَّتَيْنِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحریم: 4] حَتَّى حَجَّ وَحَجَّجْتُ مَعَهُ، وَعَدَلْتُ وَعَدَلْتُ مَعَهُ بِإِدَاوَةِ قَتَبَرَزَ، ثُمَّ جَاءَ فَسَكَبْتُ عَلَى يَدَيْهِ مِنْهَا فَتَوَضَّأَ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْمَرَأَتَانِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، اللَّتَانِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحریم: 4]؟ قَالَ: وَاعَجَبًا لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، هُمَا عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ...». [صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب موعظة الرجل ابنته لحال زوجها]

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

- 1- أعرف بعائشة وحفصة رضي الله عنهما تعريفا موجزا.
- 2- أتحدث عن فضل أمهات المومنين رضي الله عنهن.
- 3- لماذا تحرى ابن عباس سؤال عمر بن الخطاب بالخصوص عن هذه الآية؟

الإعداد القبلي

أراجع تفسير الآية: 5 من سورة التحريم وأجيب عن الآتي مستعينا بتوجيهات الأستاذ(ة):

- 1- أحدد الصفات المطلوبة في الزوجة الصالحة من خلال الآية.
- 2- أنجز ترجمة موجزة لإحدى أمهات المومنين مع التركيز على بعض مناقبها وفضائلها.